دور بديع الزمان سعيد النورسي

في تربية النشء الجديد

بقلم : الدكتور سعيد الأعظمي الندوي

نظرة على القرن التاسع عشر الميلادي :

القرن التاسع عشر الميلادي الذي يصادف القرن الرابع عشر الهجري من أهم العصور التي ظهرت فيها دعوات في العالم الإسلامي إلى اعتناق الحضارة الغربية وتمجيدها بإزاء الحضارة الإسلامية الإنسانية ، وقد أعد الغرب المادي لتحقيق هذا الغرض رجالاً من المثقفين المسلمين ، ممن كفوا مؤنة تغيير أفكار المسلمين ، نحو الحضارة الطبيعية التي أتى بها الإسلام ، باعتبار أنها هي المنهج الصحيح السليم ، الذي يتولى توفير السعادة والأمن والسلام لحياة الإنسان ، ذلك المنهج يقوم على أساس الجمع المتزن بين الأصالة والمعاصرة (Originality and Modernization) ، وقد اعترف بذلك جماعة من المثقفين ، فضلاً عن دعاة الإسلام المعاصرين .

شخصيات أثرت في تركيا الحديثة :

إن دراسة تاريخ الفلسفة الحضارية في العالم الحديث بوجه خاص ، تؤدينا إلى تركيا في هذه الفترة من التاريخ ، فإذا بشخصيات تركية تتمثل على صفحات التاريخ الحديث ، ممن أثروا في بناء تركيا الحديثة ، وقاموا بدور بارز في مجالات عديدة من الصحافة والسياسة والفلسفة ، وتراجم الرجال والأدب والدين ، والشعر الإسلامي ، وتأليف الكتب وما إلى ذلك .

ضياء كوك ألب :

ومن بين هذه الشخصيات "ضياء كوك ألب" المولود بديار بكر ١٨٧٥م ، الذي دعا إلى اعتناق الحضارة الغربية باعتبارها امتداداً لحضارة العهد القدم ، التي بناها السومريون والفينيقيون في العصر الطوراني قبل العصور القديمة ، ولذلك فإن لضياء كوك ألب مكانة مهمة بين من قدموا الأساس الفكري لبناء دولة تركيا الجديدة .

زعيم متحمس لتركيا نامق كمال :

وفي الطرف الثاني كان "نامق كمال" المولود في عام ١٨٤٠م ، الذي كان زعيماً متحمساً جمع بين العلوم واللغات الفارسية والعربية والفرنسية ، كان معجباً منذ أيام الشباب بالزعيم التركي والمفكر المعروف بإبراهيم شيناشي (١٨٢٦ — ١٨٧١م) وقد شهد بإسلاميته برناد لويس (Bernard Lewis) في كتابه (The emerge of Modern Turkey) : وإن ما يتغنى به في مقالاته بالوطن فلم يكن إلا على أساس الإقليم ، والوطن عنده ليس إلا وطناً إسلامياً خالصاً ، ولذلك فإنه انتصر للإسلام ، وحمل لواء القيم الإسلامية .

مصطفى كمال أسوأ رمز لتركيا :

وهذا مصطفى كمال باشا أتاتورك المولود ببلدة سلانيك عام (١٢٩٨هـ — ١٨٨١م) وكانت شخصيته مكروهة لدى زملائه ، منهم أنور باشا أتاتورك وطلعت باشا ، فكان الخلاف بينهم شديداً ، وخاصة حول مخالفة تركيا ألمانيا أيام الحرب الكونية الأولى الكبرى ، ذاك أن أنور باشا وزملاءه قد فوضوا مسئولية تنظيم الأمور العسكرية إلى الألمان ، بالرغم من مصطفى كمال ، لأنه كان يرى أن تلتزم تركيا بالحياد ، وفور ما انتهت الحرب الكونية الأولى تسلم أتاتورك زمام النظام وصيانته في عام ١٩١٩م وأعلن الحرب على اليونان ، فانتصر فيها وأقام حكومة مستقلة ، وألغى الخلافة العثمانية ، وأقام جمهورية علمانية ، وأصبح رئيساً لها في عام ١٩٢٤م . واستمر في سدة الحكم عشرة أعوام .

وثار خلالها على شعائر الإسلام وألغى الأذان في المساجد باللغة العربية ، وألغى الحروف العربية واستبدلها باللاتينية ، واعتز بالحضارة الغربية ووضع الحجر على أداء فريضة الحج ، وأغلق المدارس الإسلامية ، ولما توفي في عام ١٩٣٤م ، وتحررت تركيا من سيطرته وبدأت الحياة الطبيعية تعود إلى تركيا . جرت الانتخابات من جديد ، وفاز فيها الحزب الديموقراطي وانتخب عدنان مندريس رئيس وزراء تركيا ، ووجدت المدارس والمساجد طريقها نحو حياة جديدة ، وكان أول عمل لعدنان مندريس بعد فوزة في الانتخابات عام ١٩٥٠م أنه سمح بالأذان العربي ، فارتفع من منابر المساجد الأذان العربي وارتجت تركيا لأول مرة بالأذان العربي في ١٦/من يونيو عام ١٩٥٠م ، وكان

يوماً تاريخياً في تركيا .

نبذة من حياة بديع الزمان سعيد النورسي :

وبعد هذه النبذة اليسيرة من تاريخ تركيا الحديث يحلو لنا أن نتناول شخصية بديع الزمان النورسي الذي ولد عام ١٢٩٣هـ الموافق ١٨٧٦م في قرية "نورس" على مقربة من بحيرة "وان" شرقي تركيا ، ظهرت عليه مخايل النبوغ والذكاء منذ صغره ، تلقى العلوم الإسلامية على كبار علماء عصره وتبحر فيها ونال شهادة العالمية ، وهو لم يتجاوز أربع عشرة سنة من عمره ، وقد كانت له براعة في العلوم الحديثة من الرياضيات والفلك والكيمياء والفيزياء والجيولوجيا ، ولكنه اشتهر بوسائله الممتازة التي تدل على بصيرته النافذة في العلوم الدينية والروحانية ، وكانْ له سهم وافر فريد من نوعه في الحرب الكونية الأولى ، فدخل معارك عديدة مع تلاميذه وأتباعه من فرق الأنصار التي كان قد نظمها في هذه المناسبة ، فخاض معارك عديدة ضد القوات الروسية المعتدية وأبلى فيها بلاء حسنا ، مما أثار إعجاب القادة العسكريين ، وقد وفق في ساحة الحرب وبين الخنادق فيها أن يؤلف كتابه القيم في تفسير كتاب الله تعالى "إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز" إنه وفق إلى كتابة هذا التفسير ، وهو في جبهة القتال أيام الحرب الكونية الأولى ، فيقول :

"ففي أثناء أداء فريضة الجهاد (ضد الروس) كلما سنحت لي فرصة في خط الحرب ، قيدت ما لاح لي في الأودية والجبال بعبارات متفاوتة باختلاف الحالات ، فمع احتياجها إلى التصحيح والإصلاح لا يرضى قلبي بتغييرها وتبديلها إذ ظهرت في حالة من خلوص النية لا توجد الآن ، فأعرضها لأنظار أهل الكمال ، لا لأنه تفسير للتنـــزيل ، بل ليصير – لو ظفر بالقبول – نوع مأخذ لبعض وجوه التفسير ، وقد ساقني شوقي إلى ما هو فوق طوقي ، فإن استحسنوه شجعوني على الدوام (١) .

علم بارز غيَّر مجرى تركيا :

ولا ريب أن العلامة بديع الزمان النورسي من شخصيات القرن العشرين العظيمة ، فقد تركزت مجهوداته الإصلاحية في تركيا الحديثة حيث لا

(١) إفادة المرام في بدء الكتاب ص/٤١ .

يوجد لها نظير في مجال البعث الإسلامي هناك ، ومنذ أن بدأ عهد الديموقراطية في تركيا في القرن التاسع عشر بالذات سيطر على زمام الحكم المعجبون بالحضارة الغربية مع الانصراف التام عن الإسلام وحضارته ، وكان من الصعب أن يبقى للإسلام مستقبل لامع في هذا البلد التاريخي العظيم الذي كان يعتبر مركز الإشعاع وحضارته من قرون غابرة عديدة ، ولولا أن العلامة بديع الزمان النورسي ذلك العالم الرباني والداعية الإسلامي الكبير كان لم يبذل مجهودات بالغة في تلميع مستقبل الدين وإنقاذه من العلمانية الغربية التي تزعمها مصطفى كمال باشا بغاية من الجراءة والشجاعة ، وبالتركيز على هذه الجبهة ربع قرن من الزمان واجه خلال ذلك محناً كثيرة من السجن ، والنفي ، والتهديد والتضييق ، ولكنه رغماً من كل ذلك نجح في العودة بتركيا العلمانية إلى تركيا الإسلامية ، ولا شك أن ذلك مأثرة تاريخية لا يوجد لها نظير في تاريخ الهند الإسلامي إلا في دعوة مجدد الألف الثاني وأعماله التجديدية ، في عهد الملك المغولي وبعده .

انطباعات "مريم جميلة" عن الشيخ سعيد النورسي :

وقد سجلت المهتدية الجديدة الأمريكية "مريم جميلة" انطباعاتها عن النورسي وأعماله الجليلة في مجال البعث الإسلامي مع تسلحه بالقوة الروحية الإيمانية التي كان قد أكرم بها ، يقول :

"أرى بدوري أن الشيخ بديع الزمان سعيد النورسي له أهمية تاريخية كبيرة في صف العلماء الربانيين ممن قاموا ببعث إسلامي في القرن العشرين ، وقد توصلت أنا شخصياً بدراسة حياته ومطالعة كتاباته أن مكانته الروحانية أسمى من بين القادة العلماء المعاصرين الذين برزوا في مجال البعث الإسلامي في العالم العربي والقارة الهندية في هذا القرن ، فقد جمع الله تعالى في شخصيته روح ولي من أولياء الله المجددين للدين ، والمجاهدين في سبيل الله تعالى ، فكل ما تركه من تراث علمي وتربوي لا يمكن أن يكون محدوداً بين الأتراك ، بل هو إرث مشترك للمسلمين في العالم كله .

لقد كان أساس القوة التي وجدت فيه ، تلك المشكلات والقضايا التي كان يعيشها المسلمون في عصره ، إنه قام باستعراض جدي في ضوء الحقائق للظروف التي مني بها المسلمون يوم ذاك ، فلم يخطر بباله أن يضع خارطة

للمشاريع الاجتماعية والاقتصادية والسياسية التي تتحلى بالبنود الجميلة في مجال العمل الذي تولاه ، شأن القادة المسلمين الذين كانوا يعملون في مجال التجديد الإسلامي ، وقد يستعصي تنفيذها في العالم البشري ما كان الحكام المسلمون المزعومون ، يسحقون المسلمين المؤمنين بغاية من القسوة والظلم ، وما لم تنته المفاسد الاجتماعية والنظام التعليمي المادي البحت ، وأجهزة الإعلام مما لا يمكن وقاية الجيل الناهض من مضارها وسوء تأثيرها ، إننا نواجه اليوم صوراً مشوهة للإسلام في جميع المجالات سياسية كانت أو تربوية ، اجتماعية كانت أم فردية .

بينما كانت أغلبية الشباب المسلم قد تركت العمل بتعاليم الإسلام وتنفيذها في الحياة ، نرى هؤلاء الشباب أهم لا يتلكأون في الخضوع أمام الحضارة الغربية ، وإنما يسعون وراءها بغاية من الشوق ، ومن غير تمحيص ونقد ، فهل يجوز في مثل هذه الأحوال أن نتحدث عن العالم الإسلامي الموحد ، أو عن الوحدة الإسلامية ، وتوحيد جميع الطبقات الإسلامية .

كان النورسي قد أدرك هذه الحقيقة ، وتأكد أن الإسهام في السياسة العملية وبذل الجهود في هذا المجال لغو لا يأتي بنتيجة إيجابية ، ذاك أنه كان يؤمن بأن التغلب على القوة السياسية وحدها لا يؤدي إلى نتجية إيجابية وثمار يانعة في سبيل البعث الإسلامي وتجديده ، إنه كان راسخ الإيمان بأن الثورة السياسية ليست طريقاً نحو ثورة إسلامية ، ذاك أن مثل هذه الثورة الإسلامية ، تتهدم بثورة مناهضة أخرى ، ولا ريب أن هذا الوضع يفضي إلى القهر والجبر والجور والاستبداد ، والصراع الطويل .

لقد كان بديع الزمان سعيد النورسي بالغاً من التعقل بهذه الحقيقة ، والإدراك بعاقبتها الوخيمة إلى آخر المدى ، فتجنب إنشاء حركة لا تتفاعل مع الطبيعة العملية ، إذ من المعلوم أن مثل هذه الحركات تقع فريسة أصحاب الحكم والسلطة ، ويفاجئها الحل (The Unties) واعتقال زعمائها وإعدامهم بسهولة ، كما يسعهم أن يقوموا بإغلاق مكاتبها والحظر على نشاطاتها وإصدارتها ومنشوراتها .

بالعكس من ذلك قام سعيد النورسي بترسيخ جذور الإيمان في قلوب الشباب والجماهير الأتراك من خلال مؤلفاته وإصداراته ومجهوداته الدعوية ، فقد كان ذات أطراف ووسائل منوعة .

لا ريب أن ما يوجد اليوم من الإيمان والروح الإسلامية في تركيا يرجع ذلك إلى ما قام به النورسي من مجهودات بالغة ، وتضحيات غالية بالنفس والمال ، وفي توسعة حدود الإيمان والعمل في نفوس المسلمين الأتراك ، ليس إلا عكساً لهذه المجهودات والتضحيات التي قام بها النورسي في تركيا بغاية من الحكمة والموعظة .

إن حاجة الإنسان المعاصر الملحة تنحصر في إيجاد صحوة خلقية وروحانية ، إن شبابنا اليوم بأمس حاجة إلى تغيير فكرهم واتجاههم من المادية إلى روح الإيمان وتعاليم الإسلام ، وعلى هذا الجانب المهم ركز بديع الزمان سعيد النورسي تحقيقاً للغاية التي توخاها من ترسيخ الإيمان في قلوب الشباب المسلم من خلال رسائله التي تعرف برسائل النور ، وبذلك نالت حركة النورسي قبولاً بين المسلمين وإعجاباً في مجتمع الشباب المسلم في تركيا بوجه خاص ، وفي سائر أنحاء العالم ، حيث وصلت هذه الرسائل ، بأيدي شباب باحثين عن ضالتهم" (٢) .

أديب تركيا يتحدث عن النورسي :

أديب تركيا والصحافي الممتاز "أشرف أديب" (٣) ، يتحدث عن الأستاذ النورسي صاحب رسائل النور ، فيقول :

"في قرية صغيرة محاطة بالجبال شرقي أناطولية ، طلعت شمس العلم والمعرفة التي عرفته الدنيا باسم "سعيد النورسي" وكان فذاً بين الأطفال تتجلى فيه ، وعلى وجهه وعيونه مخايل النبوغ والنضج ، حيث كان يراه الناس بنظرة يملؤها العجب والحيرة وكان يتميز بالاعتزاز بالنفس والذاكرة القوية والذكاء الخارق والحب الخالص لله ولرسوله ﷺ والجرأة والشجاعة البالغتين .

رؤيا عجيبة رآها النورسي :

من عجائب قصصه أن الشيخ النورسي كان يعيش خلوة في بلدة "تيلو" فإذا هو يرى في المنام رؤيا عجيبة رأى أن الشيخ عبد القادر الجيلاني

(٢) رسالة مريم جميلة المنشورة في مجلة النور الإنجليزية ، الصادرة من أمريكا ، عدد أكتوبر : ١٩٨٥م .

(٣) أشرف أديب : الصحافي الممتاز والمؤلف الشهير ، كان يصدر صحيفتين أسبوعيتين الصراط مستقيم وسبيل الرشاد ، كانتا ترجماناً للفكر النورسي بين المسلمين في تركيا ، توفي أشرف أديب عام ١٩٧١م .

يقول له في المنام ، يا سعيد ! إذهب إلى رئيس قبيلة (Meran) وهو مصطفى باشا وقل له أن يختار الطريق الصحيح ، وأكد له الدعوة إلى إقامة الصلاة والأمر بالمعروف وانهه عن الظلم ، فإن فعل فنعما ذاك وإلا فاقتله .

محادثة جريئة للنورسي مع مصطفى كمال :

أزعجت هذه الرؤيا وأراد أن ينجز ما أمر به الشيخ عبد القادر الجيلاني ، وأعد للتوجه إلى قبيلة ميران ، وسافر ، فلما وصل هناك دخل في خيمة مصطفى كمال باشا ولم يكن موجوداً في ذلك الوقت ، فلما جاء ودخل الخيمة قام له الناس جميعا تعظيماً له ، ولكن الأستاذ النورسي لم يقم ، فلما رآه مصطفى ، سأل عنه الناس ، فعرفه أحد ضباط الجيش "باشي فتاح" ، وقال : إنه العالم الشهير "الشيخ سعيد" فلما علم ذلك استولى عليه الغضب ، ولكن تغلب عليه وسأله ما الذي جاء بك هنا" ، فرد عليه الأستاذ النورسي وقال "ما جئت هنا إلا لكي أدعوك إلى الصراط المستقيم ، فإياك والظلم والفحش وعليك بالصلاة وإلا سأقتلك .

فلما سمع باشا جواب النورسي استشاط غضباً ، وخرج من داخل الخيمة ، وبعد هنيهة ارتجع إلى الخيمة ، فردد السؤال نفسه ، فقال له النورسي : أنا أخبرتك بالغرض الذي أتيت إليك من أجله ، فما لبث أن أشار باشا إلى سيف معلق بعمود الخيمة ، وقال : هل تقتلني بهذا السيف ، فقال النورسي بغاية من الجدية : يدي تقتلك ، لا السيف ، وما أن سمع باشا هذا الرد القاسي خرج من الخيمة ، من شدة الغيظ والغضب ، ورجع بعد قليل مخاطباً النورسي :

"انظر يا سعيد ! هناك عدد كبير من العلماء ، فاذهب وناظرهم ، فإذا أعجزتم في هذه المناظرة سأكون معك ، وأعمل حسب توجيهاتك ، أما إذا كان الأمر بالعكس ، فسوف أرميك في نهر الفرات" .

ما كان سعيد النورسي متهيباً أي مناظرة ، تعقد بينه وبين العلماء ، والواقع أن باشا جمع العلماء في جلسة ، قام فيها أمام هذا الجمع ، وقال : إنني أراك أيها العلماء مغلوبين أمام سعيد النورسي ، الأمر الذي شجع العلماء وبعث فيهم الطموح حتى وجهوا إلى الشيخ النورسي أربعين سؤالاً ، رد عليها الأستاذ النورسي بغاية من الوضوح ، فلما رأى ذلك وتأكد أن مكانة الشيخ النورسي لعالية في العلم ، وفي وعده وبدأ يصلي الصلوات ، ولكنه لم يرض أن

يعيش النورسي في عاصمة تركيا ، وأوجس منه خيفة ، فعزله إلى مكان بعيد من العاصمة ، وهي الجزيرة" (٤) .

تدوين رسائل النور :

طاب له المكان هناك ، حيث قام بتدوين رسائله التي تسمى برسائل النور ، ولكن مصطفى كمال باشا لم يعجبه هذا النشاط العلمي والديني من خلال هذه الرسائل ، التي كانت جماعة الشباب المسلم في تركيا تتلقفها ، بغاية من الشوق للاستفادة الدينية والعلمية منها ، لأنها كانت تحتوي على حقائق الإسلام والإيمان والتوحيد بأسلوب بديع خلاب ، وكل من قرأها تيقن بحقيقة الحياة والكون والإنسان ، وعلم تلك الأهداف الغالية التي أرادها الله تعالى من خلق الإنسان ، إنه تحدث عن هذه الحقائق الظاهرة الباهرة بما فتح الله عليه من المعاني والمفاهيم الصحيحة السليمة ، وهي تتجلى في رسائل النور تجلياً بيناً .

يحلو لنا في هذه المناسبة أن ننقل إلى قرائنا الكرام مقتطفاً مما دبجه يراع السيدة مريم جميلة التي سبق ذكرها في هذا المقال المتواضع ، إنها تقول :

"ولكن الفئة الحاكمة ساءها هذا النشاط الإسلامي الهادف ، فسرعان ما التفتت إلى الرسائل المنتشرة بين أيدي الشبيبة المؤمنة ، وكلها دعوة إلى التمسك بمبادئ الإسلام ، فهجمت على مقر اجتماعاته (النورسي) ، وقذفت بتلاميذه إلى غياهب السجن ، وأمرت بإبعاد النورسي ثمانية أعوام إلى إقليم ناء في (بارلا) ليحرم من الاتصال بمن رباهم على النضال ، وليظل وحيداً مكرها على أن يطهو طعامه بيده ، وأن يخيط ثيابه دون معاونة من خائط ، ولكن روحانيته العالية كانت فوق النفي والاعتقال ، فجعل ينشئ (رسائل النور) فجعل المخلصون الجدد من إقليم (بارلا) يجتمعون حوله ، ليحملوا الرسائل إلى الناس مخطوطة غير مطبوعة ، حيث يقوم كل قارىء بنسخ صورة يقدمها لغيره ، وعليه أن يكرر عملية النسخ ، وبذلك أصبحت الرسائل المخطوطة تنافس المطبوعات في سيرورتها !

وذعرت السلطة الحاكمة في أنقرة حين علمت سيرورة هذه الرسائل

(٣) الجزيرة هي المنطقة التي كانت فوق نهري دجلة والفرات ، وهي حائلة على ثغور تركيا وسوريا .

(٤) بديع الزمان سعيد النورسي ، الشخصية والحركة ، تأليف ثروت صولة ص/٣٦ – ٣٧ .

المخطوطة وانتشارها على نحو مدهش ، فعمدت إلى تلفيق التهمة السياسية ضد النورسي ومئة وعشرين من أتباعه وقدمته للمحاكمة بمدينة (إسكي شهير) وكانت تهمته هي التحريض ضد النظام القائم والسلطة الحاكمة ووقف المتهم الجريئ ليقول في جهارة عالية : (إن قيام حركة عن طريق الكتاب والتأليف لا يسمى عصياناً يؤدي إلى إسقاط الحكومة ، وإذا كان عود الثقاب لا يحرق دون أن يحك ، فليس من المعقول أن يعتبر مجرماً من يحمل ذلك العود ، وهو لم يحرق العمار ، وأنا لا أنوي الاستيلاء على الحكم ، وكل ما أسعى إليه أن أهدي قومي إلى صراط الحق القويم ، لست أنتمي إلى أي نحلة ، أو أدعو إلى أي عصبية ، ولكني أتحمس لكتاب الله وشريعة الإسلام ، ورسائل النور مدرسة دون مكان أو منهج أو مال أو مدير ، هي مدرسة روحية كتاها القرآن ، فما ذنب من يقرأ القرآن وتفسيره وهو عضو في مدرسة لا تعرف حدود الزمان ولا حيز المكان ، إن قرار الاتهام ينص على أن رسائل النور قد قرأها سبع مأة ألف شخص في إقليم الأناضول ، وماذا في ذلك ؟ هل أدت قراءة الرسائل إلى إخلال بالواجب أو تهديد للأمن العام ، أو خرق دستور البلاد ، لقد وقفت أمام عدة محاكم ، ولم تتوفر الأدلة على إدانتي ، فاتركوني إذن وشأني ، لست محارباً ، ولكني مسالم" (٥) .

نماذج من كتاباته لتربية النشء الجديد :

هنا نتقدم إلى قرائنا الكرام بنبذ من بعض الرسائل التي عثرنا عليها من خلال قراءتها :

(١) وهذه هي "رسالة الشكر" .

بداها الشيخ النورسي بآية من كتاب الله تعالى ، بسم الله الرحمن الرحيم ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ﴾ .

يفيض القرآن الكريم ببيانه المعجز ويحث على الشكر في آيات كثيرة ، منها هذه الآيات التاليات :

﴿أَفَلا يَشْكُرُونَ ..... أَفَلا يَشْكُرُونَ﴾ ، ﴿وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ﴾ ، ﴿لَئِنْ شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ﴾ ، ﴿بَلْ اللَّهَ فَاعْبُدْ وَكُنْ مِنْ الشَّاكِرِينَ﴾ .

(٥) حقيقة التوحيد بقلم سعيد النورسي ص/١٢ ، مقدمة الكتاب .

ويبين منها : أن أجل عمل يطلبه الخالق الرحيم من عباده هو : الشكر فيدعو الناس إلى الشكر دعوة صريحة واضحة ويوليه أهمية وامتيازاً خاصاً ، بإظهاره أن الاستغناء عن الشكر ، إن هو إلا تكذيب للنعم الآلهية وكفران بها ، ويهدد إحدى وثلاثين مرة في سورة الرحمن بالآية الكريمة : **﴿فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾** تهديداً مرعباً ، وينذر الجن والإنس إنذاراً مهولاً ببيانه : أن عدم الشكر والإعراض عنه تكذيب وإنكار وجحود .

ومثلما يبين القرآن الحكيم أن الشكر نتيجة الخلق ، والغاية منه ، فالكون الذي هو بمثابة قرآن كبير مجسم يظهر أيضاً أن أهم نتيجة لخلق الكائنات هي الشكر (ص/٤٩) .

(٢) "رسالة الحمد لله على نعمة الإيمان" :

لخصها في تسع نقاط :

النقطة الأولى : إن الفلسفة المادية "أو التفكير المادي" ليست في الواقع سوى نظارة سوداء يرى الإنسان بها الأشياء جميعاً قبيحة مخيفة ، أما حقيقة الإيمان ، فهي نظارة شفافة نورانية براقة يرى الإنسان بها جميع الأشياء والأمور مؤنسة وجميلة (ص/٥٧) .

النقطة التاسعة الأخيرة :

الحمد – من الله بالله على الله – لله ، بعدد ضرب الكائنات من أول الدنيا إلى آخر الخلقة ، في عشرات دقائق الأزمنة ، من الأزل إلى الأبد .

الحمد لله على نعمة القرآن والإيمان علي وعلى إخواني بعدد ضرب ذرات وجودي في عاشرات دقائق عمري في الدنيا وبقائي في الآخرة (ص/٦٦) .

(٣) وهذه رسالة رمضان تحتوي على تسع نكات ، النكتة الأولى من بيان الحكم التي يتضمنها صيام رمضان ، فيقول :

"إن أكثر الحكم المتمخضة عن صوم رمضان تتوجه إلى إظهار ربوبية الحق تبارك وتعالى ، كما تتوجه إلى حياة الإنسان الاجتماعية وإلى حياته الشخصية ، وتتوجه أيضاً إلى تربية النفس وتزكيتها ، وإلى القيام بالشكر تجاه

النعم الإلهية .

نذكر حكمة واحدة من بين الحكم الكثيرة جداً من حيث تجلي ربوبية الحق تبارك وتعالى من خلال الصوم هي :

إن الله سبحانه وتعالى قد خلق على وجه الأرض مائدة ممتدة عامرة بالنعم التي لا يحصرها العد ، وأعدها إعداداً بديعاً من حيث لا يحتسبه الإنسان ، فهو – سبحانه – يبين بهذا الوضع ، كمال ربوبيته ، ورحمانيته ، ورحيميته ، بيد أن الإنسان لا يبصر تماماً – تحت حجاب الغفلة وضمن ستائر الأسباب – الحقيقة الباهرة التي يفيدها ويعبر عنها هذا الوضع ، وقد ينساها ، أما في رمضان المبارك فالمؤمنون يسبحون فوراً في حكم جيش منظم ، يتقلدون جميعاً وشاح العبودية لله ، ويكونون في وضع متأهب قبيل الإفطار لتلبية أمر القادر الازلي : "تفضلوا" إلى مائدة ضيافته الكريمة ، فيقابلون – بوضعهم هذا – تلك الرحمة الجليلة الكلية بعبودية واسعة منظمة عظيمة ، ترى هل يستحق أولئك الذين لم يشتركوا في مثل هذه العبودية السامية ، وفي مثل هذه الكرامة الرفيعة أن يطلق عليهم اسم : الإنسان" ؟

(٤) وهذه رسالة الاقتصاد ، افتتحها بقوله تعالى : بسم الله الرحمن الرحيم ، ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا﴾ ، وفيها سبع نكت ، يقول في النكتة السابعة :

"إن الإسراف ينتج الحرص ، والحرص يولد ثلاث نتائج :

أولاها : عدم القناعة ، وعدم القناعة هذا يثني الشوق عن السعي وعن العمل ، بما يبث في نفس الحريص من الشكوى بدلاً من الشكر ، قاذفاً به إلى أحضان الكسل ، فيترك المال الزهيد النابع من الكسب الحلال ويبادر بالبحث عما لا مشقة ولا تكليف فيه من مال غير مشروع ، فيهدر في هذه السبيل عزته ، بل كرامته .

النتيجة الثانية للحرص : الخيبة والخسران ، إذ يفوت مقصود الحريص ويتعرض للاستثقال ويحرم من التيسير والمعاونة حتى يكون مصداق القول المشهور : "الحريص خائب خاسر" .

إن تأثير الحرص والقناعة ليجري في عالم الأحياء وفق دستور شامل وسنة مطردة . النتيجة الثالثة : إن الحرص يتلف الإخلاص ويفسد العمل الأخروي لأنه :

لو وجد حرص في مؤمن تقي لرغب في توجه الناس وإقبالهم إليه ، ومن يرقب توجه الناس وينتظره لا يمكنه الوصول أبداً إلى الإخلاص التام ولا يمكنه الحصول عليه ، فهذه النتيجة ذات أهمية عظمى جديرة بالدقة والملاحظة" .

(٥) ورسالة بعنوان : الحريص خائب خاسر ، وأخرى : الآجال معينة والأرزاق مقننة .

(٦) ورسالة أخرى عن الحضارة التي أفقرت البشرية ، تحدث فيها عن المدنية الحاضرة الغربية .

يقول في آخرها كخلاصة الكلام :

"إن المدنية الغربية الحاضرة لا تلقي السمع كلياً إلى الأديان السماوية ؛ لذا أوقعت البشرية في فقر مدقع ، وضاعفت من حاجاتها ومتطلباتها ، وهي تتمادي في تهييج نار الإسراف والحرص والطمع عندها بعد أن قوضت أساس الاقتصاد والقناعة ، وفتحت أمامها سبل الظلم وارتكاب المحرمات ، زد على ذلك ، فقد ألقت – بذلك – الإنسان المحتاج المسكين في أحضان الكسل والتعطل المدمر ، بعد أن شجعته على وسائل السفاهة ، وهكذا بددت الشوق لديه إلى السعي والعمل ، فأضاع الإنسان عمره الثمين سدى باتباعه هوى المدنية الحاضرة وسيره وراء سفاهتها ولهوها .

زد على ذلك ، فقد ولدت المدنية في ذلك الإنسان المعوز العاطل أمراضاً وأسقاماً وعللاً ، إذ أصبحت وسيلة ، إلى انتشار مئات من الأوبئة والأمراض في أرجاء المعمورة ، بثتها في الأوساط بسوء الاستعمال والإسراف" .

(٧) ومن كليات رسائل النور "زهرة النور" وهي تتضمن رسالة المرضي ، ورسالة المناجاة ورسائل أخرى ، تحدث في رسالة المرضى عن خمسة وعشرين دواء ، بياناً مجملاً ، ولعلها تكون سبباً للتسلية الحقيقية لمرضى القلوب والأجسام ، يصف الدواء الخامس والعشرين فيقول :

"أيها الإخوان المرضى ! إذا كنتم تشعرون بحاجة إلى علاج قدسي نافع جداً ، وإلى دواء لكل داء يحوي لذة حقيقية ، فاكشفوا إذن عن إيمانكم وصقلوه ، أي تناولوه بالتوبة والاستغفار والصلاة والعبادة والعلاج القدسي

المتمثل في الإيمان الذي يحوي ذلك العلاج" .

ويضمن هذا الدواء الأخير عزاء بطفل ، وفيه خمس نقط ، جاء في النقطة الأخيرة :

"إن هذا الطفل الذي يعاني ما يعاني من سكرات الموت سيرسله خالقه الرحيم إلى قدس جنته بعد ما يخرجه من هذه الدنيا القذرة ، زد على ذلك ، سيجعله لك مشفعاً ، كما سيجعله لك أيضاً ولداً أبدياً ... فلا تقلق إذن ولا تغتم ، فالفراق موقت ، واصبر قائلاً : "الحكم لله" ، "إنا لله وإنا إليه راجعون" .

(٨) ورسالة باسم "رائد الصابرين" وهي تتضمن خمس نكت :

ومن النكتة الأولى :

"كل ما تكسبه أيدينا من إثم ، وكل ما يلج إلى أذهاننا من شبهة ، يشق جروحاً غائرة في قلوبنا ، ويفجر قروحاً دامية في أرواحنا ... ثم إن جروح سيدنا أيوب عليه السلام كانت تهدد حياته الدنيا القصيرة بخطر ، أما جروحنا المعنوية نحن فهي تهدد حياتنا الأخروية المديدة بخطر ... فنحن إذن محتاجون أشد الحاجة إلى تلك المناجاة الأيوبية الكريمة بأضعاف أضعاف حاجته عليه السلام إليها وبخاصة : أن الديدان المتولدة من جروحه عليه السلام مثلما أصابت قلبه ولسانه ، فإن الوساوس والشكوك – نعوذ بالله – المتولدة عندنا من جروحنا الناشئة من الآثام والذنوب تصيب باطن القلب الذي هو مستقر الإيمان فتزعزع الإيمان فيه وتثلمه ، وتمس اللسان الذي هو مترجم الإيمان فتسلبه لذة الذكر ومتعته الروحية ، ولا تزال تنفره من ذكر الله حتى تسكته كلياً" .

(٩) رسالة إلى طبيب بعث بها الأستاذ بديع الزمان سعيد النورسي إلى طبيب اشتاق كثيراً إلى رسائل النور :

(١٠) ورسالة المناجاة التي يعرّفها بقوله :

"إن رسالة "المناجاة" تثبت وجوب الوجود والوحدة والأحدية ، وجلال الربوبية ، وعظمة القدرة ، وسعة الرحمة ، وعمومية الحاكمية ، وإحاطة العلم ، وشمول الحكمة ... وأمثالها من الأسس الإيمانية ، تثبتها بأسلوب موجز خارق وبقطعية فوق العادة وبخالصية ويقينية ... وإن إشارتها إلى الحشر – وبخاصة إشارتها الشديدة في ختامها – قوية جداً .

(١١) وله رسالة الملائكة ، تشرح أن التصديق بالملائكة ركن من أركان الإيمان ، وهي تحتوي على أربعة أسس .

(١٢) ورسالة المقصد الثاني فيها بيان للقيامة ودمار الدنيا والحياة الآخرة ، تحتوي على أربعة أسس ، ومقدمة .

(١٣) وهذه رسالة "من ثمرات الإيمان بالملائكة في الحياة الدنيا" .

جاءت في خلال هذه الرسالة إشارة إلى ما تحويه رسائل النور :

يقول الأستاذ النورسي : "إن جميع ما في رسائل النور من موازين وموازنات ومقارنات إنما هو لبيان ثمار سعادة الإيمان ونتائجها التي تعود للحياة الدنيا والحياة الأخرى ، فتلك الثمار الكلية الضخمة كما أنها تري في الدنيا سعادة الحياة وتذيق لذائذها خلال العمر ، فإنها تخبر كذلك أن إيمان كل مؤمن سيكسبه في الآخرة سعادة أبدية ، وتشير كذلك أن هذه السعادة الدنيوية تثمر وتتكشف وتنبسط بالصورة نفسها هناك ، فمن نماذج تلك الثمار الكلية العديدة كتبت خمس ثمار منها على أنها (للمعراج) في نهاية (الكلمة الحادية والثلاثين) وخمس ثمار في "الغصن الخامس للكلمة الرابعة والعشرين .

فكما ذكرنا آنفاً أن لكل ركن من أركان الإيمان ثماراً كثيرة جداً بلا حدود ، فلمجموع أركان الإيمان معاً ثمار لا حد لها أيضاً ، إحداها : الجنة العظيمة .

والأخرى : السعادة الأبدية .

الثالثة : وهي ألذها هي رؤية الله جل جلاله هناك ، وقد وضحت بجلاء في المقارنة المعقودة نهاية "الكلمة الثانية والثلاثين" بعض ثمار الإيمان الذي هو محور سعادة الدارين" .

مدى انتشار رسائل النورسي :

يقول الدكتور محمد رجب البيومي عميد كلية اللغة العربية بالمنصورة في حديثه عن الأستاذ سعيد النورسي في كتابه : النهضة الإسلامية في سير أعلامها المعاصرين .

"وقد أخذت رسائل النور في الانتشار ، فألفت في كل بلدة جماعة تدين بمبادئها ، وتنادي جهرة بعودة التشريع الإسلامي لحكم البلاد ، وقد طبع

تلاميذ النورسي رسالة (مرشد الشباب) في مطبعة كبيرة ، نشرت منها آلاف النسخ ، بعد أن كانت الرسائل تفرق مخطوطة باليد ، وكل من يقرأ نسخة يكتب مثلها ، ويعطيها لمن يقرأ ثم يكتب ! وكان طبع الرسالة سبباً ، في اتهام النورسي من جديد ، فقدم إلى المحاكمة بتهمة مخالفته للمادة (١٦٣) من الدستور ، وهي تحظر كل نشاط يستهدف إقامة الدولة على أسس دينية ؛ وجيء بالمتهم البريئ ، ليستمع قول ممثل الاتهام : "إن المؤلف يحاول في رسالته نشر الفكرة الدينية ، ويرسم طريقاً للشباب يفضي إلى اعتناق مبادئ الإسلام ، ويدعو النساء إلى الاحتشام وعدم التبرج وستر ما يوحى بالفتنة تبعاً لمنطق القرآن ! ثم يدعو إلى تدريس الدين بالمدارس" !! وكان الظن به أن ينكر إشرافه على طبع الرسالة ، لأنه لم يشرف فعلاً ، بل قام بذلك تلاميذه ، لكنه قال : "إن طبع الرسالة كان مصدراً ارتياح لنفسه ، لأنها بها ينقذ آلاف الشباب والشابات من التيارات الهادمة للمجتمع التركي" (٦) .

خاتمة البحث :

إن الشيخ النورسي كان مؤيداً من الله تعالى ، وموفقاً منه في إزالة آثار الجهل والظلم والإلحاد ، وفصل الشعب التركي عن تاريخه الإسلامي المشرق الأصيل ، فقام في أوساط الشباب والعلماء والجماهير المسلمة بغاية من الجدية والإخلاص الكامل والحكمة اليمانية والفراسة الإيمانية ، لكي يبعث في قلب كل مسلم ثورة ضد الظلم والطغيان والحيد عن منهج العقيدة والإيمان ، فكان يتحرق غيظاً على كل محاولة باطلة وعلمانية طاغية ، وإجرامات سياسية ، ولا يكاد يصبر على بقائها للحظة واحدة في تركيا ، وقد بلغ به الله من الجراءة الدينية والشجاعة الإيمانية إلى مكانة سامقة ، حيث لم يخش أي قوة مادية أو سلطة ارتجالية .

ورغم الظروف الخطيرة التي كانت تحيط به من كل جانب ، وعلى كل مستوى ، لم يقم لها وزنا ما ، وكان لا يعتبر كل ذلك أكثر من طنين ذباب أو لسعة نحل ، إنها ثورة الإيمان الخالص التي اشتعلت نارها في قلوب

(٦) النهضة الإسلامية في سير أعلامها المعاصرين ص/١٨٢ .

الناس ، وارتفع أوارها في كل ناد ومجتمع ، إنها رسائل النور التي تهافت عليها الشباب المسلم كالفراش المبثوث ، وتلقفتها الأيدي ، كأنها ضالتها ، لما فيها من تأثير وقوة وتنوير وتبصير ، وكان المثل السائر يتمثل للعيون عندها : "الحكمة ضالة المؤمن ، فحيثما وجدها فهو أحق بها" .

وكان رئيس وزراء تركيا في ماض قريب الأستاذ نجم الدين أربكان (رحمه الله تعالى) ، ضمن أولئك الشباب المؤمن ، الذي كان قد استنار قلبه برسائل النور ، والذي كان نتيجة مجاهدات الشيخ الجليل بديع الزمان النورسي وتربيته الإيمانية الحكيمة ، واستأثرت رحمة الله تعالى بالعلامة النورسي في ٢٣/ مارس ١٩٦٠م في مقره الأخير أرفا في تركيا ، حيث احتضنته رحمة الله سبحانه ، تغمده الله تعالى بالنعم والقبول ، وقد عاش ما عاش مبجلاً مكرماً ، داعية مخلصاً متفانياً في حب الله تعالى ورسوله الكريم ﷺ ، وكان عمره قد ناهز خمساً وثمانين سنة .

فما كان قيس هلكه هلك واحد
ولـــــكنه بـــــنيان قوم تهدمـــا

ورغم محاولة الحكومة أن يدفن في مكان مجهول ، إلا أن ذلك لم يتحقق وعرفه الناس ميتاً كما عرفوه حياً ، والدوام لله وحده ، والله ولي المتقين .

وصلى الله تعالى خير خلقه محمد وعلى آله وصحبه وبارك وسلم .

مصادر البحث :

(١) الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية للعلامة الندوي .
(٢) إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز للعلامة النورسي .
(٣) النهضة الإسلامية في سير أعلامها المعاصرين للدكتور محمد رجب البيومي .
(٤) رساله الشكر للعلامة النورسي .
(٥) رسالة الحمد .. .. .. (٦) رسالة رمضان .. .. ..
(٧) رسالة الاقتصاد .. .. .. (٨) زهرة النور .. .. ..
(٩) بديع الزمان النورسي : الشخصية والحركة للأستاذ ثروة صولة .
(١٠) أسبوعان في تركيا للعلامة الندوي .

****